

الرَّحْمَنُ. عِلْمُ الْقُرْآنِ.

خلق الإنسان

ما دلالة أن يأتي الحديث عن خلق الإنسان، وتعليمه البيان مسبقاً بالحديث عن القرآن، مع أن المراد بـ «الإنسان» هو الجنس.

وهو سابقٌ بأجيالٍ على تنزيل القرآن.

إذ القرآن قد نُزِلَ على خاتم الرسل محمد ﷺ ؟

وخلق الإنسان قد بُدئَ بخلق آدم - أبي البشر ﷺ.

وآيات الرحمن - كما نرى - قد جاء ترتيبها أولاً بـ ﴿الرَّحْمَنُ﴾ (1)

في آية، ثم يأت بعدها ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ (2)، وإنما جاء بعدها ﴿عَلَّمَ

الْقُرْآنَ﴾ (3)

فجاء تعليم القرآن موصولاً بالرحمن.

وجاء خلق الإنسان بعد تعليم القرآن.

ألا يُعطينا ذلك أن القرآن الكريم - بحقائقه - سابق، ليس بمخلوقٍ

ولا مسبوقٍ ؟ فهو كلامُ الله، المشتغل على صفات الخالق، وحكمة

الخلق، وغاية الوجود.

وهذه الحقائق ثابتة قبل خلق الإنسان.

(1) الرحمن: ١.

(2) الرحمن: ٣.

(3) الرحمن: ٢.

وقد نُزِلَ القرآنُ بها - وهو الكتابُ المهيمُنُ، المحفوظُ بحفظِ الله. ليظلَّ الخطابُ بهذه الحقائق موصولاً بالإنسان، يرى فيه من سُنَنِ الله ما كان وما سيكون، إلى آخر الزمان، دون تبديل أو تحويل.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (1)

هكذا - بضمير العظمة المتكرر - يُخبرنا الله بتنزيل القرآن وحفظه.

فلا غرورٌ أن يكون القرآنُ موصولاً بالرحمن، متصلأ بالإنسان. يعتصم به، فينعم بفضلِ الله ورحمته.

يُذَكَّرُ ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ أولاً، ثم يُذَكَّرُ السَّبَبُ الواصل بينه وبين خلقه،

ثم يُذَكَّرُ الإنسان، الذي من أجله أنزلَ وبقي موصولاً على مرِّ الزمان. وجاء الرسلُ - جميعاً - مبشرين بحقائقه ومُنذرين، إلى أن خُتِمت رسالتهم بنورٍ وكتابٍ مبين، تُعرَفُ به رسالاتُ الرسلِ جميعاً، دون تفرقة بين رسولٍ ورسول.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ

رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي

قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَإِنَّا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (2)

(1) الحجر: ٩.

(2) آل عمران: ٨١.

من هنا نستطيع أن ندرك التناسب بين الآيات على هذا الترتيب:

﴿الرَّحْمَنُ﴾

عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾

خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾

عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ (1)

وأن نعرف شأن القرآن بالنسبة للإنسان.

وأنه الحبل الممتد بينه وبين الرحمن.

(1) الرحمن: ١ - ٤.